

الحلقة الخامسة والتسعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تؤمن مستمعي بالخلود؟ وأنه بإمكان الإنسان أن يعيش إلى الأبد؟ بعض الناس يظنون أن الموت هو نهاية كل أمر، وأن لا شيء يأتي بعده. فجسد الإنسان الترابي ينحل في القبر، ولا وجود لحياة بعد الموت. ولا وجود بالتالي لنعيم أو جحيم. لكن ما صحة هذا الادعاء؟ وكيف يمكن البرهان على الخلود؟ وفي حالة وجود الخلود، كيف يمكن للمرء أن يضمن حصوله على الخلود في دار النعيم وليس في دار الشقاء؟ هذه تساؤلات عديدة قد يطرحها الكثيرون ويحاولون الإجابة عنها بحسب معرفتهم ومصادرهم المتنوعة.

مستمعي الكريم، علمنا من اللقاءات السابقة أن المسيح في جداله مع اليهود كشف لهم: أنهم ليسوا أحراراً بل عبيد للخطية، وأنهم يحصلون على الحرية الحقيقية عندما يؤمنون به. وأنهم ليسوا أولاداً لإبراهيم بل إن إبليس هو أبوهم. وعندها اتهمه أولئك اليهود بأنه سامري أي عدو لهم وبه شيطان. فأجابهم المسيح قائلاً:

«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: الْآنَ عَلِمْنَا أَنَّ بَكَ شَيْطَانًا. قَدْ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَأَنْتَ تَقُولُ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي فَلَنْ يَدُوقَ الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ. أَلَعَلَّكَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ وَالْأَنْبِيَاءُ مَاتُوا. مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ أَمْجِدُ نَفْسِي فَلَيْسَ مَجْدِي شَيْئًا. أَبِي هُوَ الَّذِي يَمْجِدُنِي، الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ إِنَّهُ إِلَهُكُمْ، وَلَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. وَأَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ. وَإِنْ قُلْتُ إِنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ أَكُونُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا، لَكِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَحْفَظُ قَوْلَهُ» (بشارة يوحنا ٨: ٥١-٥٥). سنأمل الآن بأقوال المسيح الهامة هذه فابقوا معنا.

لقد أعلن المخلص المسيح في تصريحه: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ»، أعلن حقيقة هامة جداً وهي: أنه لكي يحصل الإنسان على عطية الخلود، عليه أن يحفظ كلام المسيح أي يؤمن به. وعندها ينتقل بالموت إلى الحياة الأبدية، أي يكون الموت جسر عبور له إلى الحياة الباقية. هذا ما قصده المسيح بقوله أنه لن يرى الموت إلى الأبد. كان كلام المسيح هذا مفاجئاً

وصاعقاً بالنسبة لأولئك اليهود. فسخرُوا منه زاعمين أن كل الأنبياء بما فيهم إبراهيم الخليل قد ماتوا، فكيف يدّعي هو الآن أن بإمكان الإنسان إن صدّق كلامه وآمن به أن لا يذوق الموت ويعيش إلى الأبد؟

وهنا عاد اليهود ليتّهموا المسيح أن به شيطاناً، متسائلين: أعلّه هو أعظم من أبيهم إبراهيم والأنبياء جميعاً الذين ماتوا؟ حقاً إنها تساؤلات هامة. لكن المسيح أجابهم قائلاً: أن الله الأب الذي يعرفه حق المعرفة ويحفظ قوله هو الذي أعطاه هذا المجد والسلطان، ومنه يستمد هذه الحقائق الهامة التي يعلنها لهم. وليس هذا فحسب، لكنه إن ادّعى بعدم معرفته لله الأب يكون مثلهم كاذباً. فهم لا يعرفون الله مع كل ادعاءاتهم أنه هو إلههم. ثم تابع المسيح كلامه معلناً لهم حقيقة جديدة أخرى:

«أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرِحَ». فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ». فَرَفَعُوا حِجَارَةً لِيَرْجُمُوهُ. أَمَّا يَسُوعُ فَاخْتَفَى وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ مُجْتَازاً فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى هَكَذَا» (بشارة يوحنا ٨: ٥٦-٥٩). لقد كشف المسيح لأولئك اليهود، وعلى عكس ما كانوا يظنون، أن إبراهيم الخليل قد رأى يوم المسيح فتהלّل وفرح. أجل، لقد رأى إبراهيم يوم المسيح، أي اليوم الذي فيه سيقدّم نفسه ذبيحة كفارة عن خطية الجنس البشري. رآه عندما دبّر له الله الخروف لكي يموت ويكون هو الذبيحة عوضاً عن ابنه اسحق. وهكذا رأى إبراهيم يوم المسيح وفرح وتهلّل.

وعندما تساءل اليهود مستغربين: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» أجابهم المسيح معلناً لهم الحقيقة المدوية التي أثارت غضبهم الشديد ألا وهي: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ». وهنا كشف لهم المسيح عن لاهوته الأزلي واتحاده مع الله الأب كالكلمة الأزلي، وأنه كان موجوداً قبل أن يكون إبراهيم. أمام هذه الحقيقة المدوية أن المسيح كان موجوداً منذ الأزل مع الله الأب، رفع اليهود حجارة ليرجموه، لكن المسيح اختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم. أي أجرى أعجوبة أخرى أمام أعينهم باختفائه، وأكد في نفس الوقت صحة كلامه وأنه هو فعلاً كلمة الله الأزلي المتجسد، الذي يعرف الله الأب حق المعرفة.

مستمعي العزيز، لقد أكّد المخلص المسيح وهو كلمة الله الأزلي، أنه بإمكان الإنسان الحصول على الحياة الأبدية بمجرد إيمانه به. وسبق للمسيح أن صرّح أيضاً قائلاً: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلْتَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (بشارة يوحنا ٥: ٢٤). هذا هو وعد المسيح الأكيد: أن كل من يسمع كلامه ويؤمن به

أنه قد أرسل من قبل الله الآب، ينال الحياة الأبدية، ولا يأتي إلى دينونة، أي ينجو من دينونة الله الحتمية على كل البشر الخطاة. وهكذا ينتقل من الموت إلى الحياة. أي يكون الموت هو جسر العبور له إلى الحياة الأبدية كما ذكرنا قبل قليل.

هل يوجد صديقي أعظم من هذا الوعد المجيد؟ أن ينجو الإنسان من دينونة الله، وينال الحياة الأبدية؟ هذا هو الضمان الأكيد أن كل من يؤمن بالمخلص المسيح يتأكد أن له الحياة الأبدية. وهكذا يزول الخوف والاضطراب من الموت، إذ يتأكد هذا الإنسان من نواله الحياة الأبدية ونجاته من الهلاك الأبدي. لقد أكد المسيح دائماً بأحاديثه حقيقة الخلود. فهل مازال لديك مستمعي شك بهذه الحقيقة؟ أولاً تود أن تحيا إلى الأبد؟ ما عليك إلا أن تؤمن بهذا المخلص الفريد الذي مات من أجلك على الصليب، آخذاً عقاب خطاياك. وهكذا تتال الغفران عنها، وتحيا إلى الأبد.